مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:02 (نوفمبر 2026) ص 58– 79
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

أشكال التجريب وتحولات السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة

قراءة نقدية تحليلية لرواية " كتاب الأمير " لـ " واسيني الأعرج " أنموذجا

Forms of experimentation and narrative transformations in the contemporary Algerian novel: a critical and analytical reading of Waciny Laredj Novel :Kitab El Amir " Book of the Prince" as a model

أ.د : صدار نورالدين [1] Pr. Seddar Noureddine

د. عزوز أمينة [2] Dr. Azzouz Amina

1– جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر (الجزائر)، n.seddar@univ-mascara.dz

2 –جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر (الجوائز)، amina.azzouz@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2026/07/02	تاريخ القبول: 2026/11/08	تاريخ النشر : 2026/11/25

الملخص: عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة أشكالا من التجارب والتحولات الكبيرة على مستوى الشكل والمضمون، والبناء الفني من حيث السرد ومكوناته وطرق توظيفه، كان ذلك بفعل " **التجريب** " في النص الروائي وآلياته، مما أضفى على الرواية بعدا جماليا ورؤية جديدة للعالم. لأجل ذلك تطمح هذه الورقة إلى متابعة **أشكال التجريب** في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال قراءة تقييمية تحليلية لرواية " **كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد**" لواسيني الأعرج. ومن هنا تبرز إشكالية هذه الدراسة في الأسئلة المركزية التالية: ما مفهوم التجريب الروائي كما تمثَّلته الدراسات النقدية الجزائرية المعاصرة.؟ ما هي أشكاله التي عرفتها الرواية الجزائرية المعاصرة.؟ وهي مآلاته.؟

الكلمات المفتاحية : الأشكال ، التجريب ، الرواية الجزائرية، التحليل، التقييم، واسيني الأعرج .

Abstract:

The Contemporary Algerian fiction has undergone significant experimentation and transformation in form, content, and artistic construction, particularly in narrative, its components, and its modes of unfolding. This evolution stems from experimentation within the novelistic text and its mechanisms, lending the novel an aesthetic dimension and a novel itself worldview. This article therefore proposes to explore the forms of experimentation in contemporary Algerian fiction through an evaluative and analytical reading of Waciny Laredj's novel, "Kitab El Amir " (The Book of the Prince : The Roads of the Iron Gates). The central questions of this study are: What is the definition of novelistic experimentation as understood by contemporary Algerian literary criticism? What forms has it taken in the Algerian novel? And what are its consequences?

Keywords : Forms, Experimentation, Algerian Novel, Evaluation, Analysis,Wacyni Laradj.

المؤلف المرسل: أ.د.نورالدين صدار، **الإيميل**: n.seddar@univ-mascara.dz

1 ـ مقدمة :

تندرج هذه الدراسة ضمن ما يصطلح عليه في النقد الأدبي المعاصر بـ " **نقد النقد**" أو " **قراءة القراءة**" **"Metacritique"** الذي يضع الخطاب النقدي نفسه موضع المساءلة، يراجع الناقد فيه أدوات الناقد ومصطلحاته، ومرجعياته وإجراءاته المنهجية بغية تقييمها وتثمين ممارساتها النقدية. ومن هنا تهدف دراستنا تقصي أشكال التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، من خلال قراءة تحليلية للمنجز النقدي الذي تعاطى مع الرواية، مركزين على نموذج روائي حظي باهتمام النقاد والدارسين، لما يتضمن من تجارب روائية تعد رائدة في الكتابة الروائية المعاصرة، ويتعلق الأمر برواية " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**" ... رواية تستند على المادة التاريخية، ولكنها لا تقول التاريخ لأنه ليس هاجسها، ولا تتقصى الأحداث والوقائع، فليس ذلك من رؤيتها أو من مهامها، فهي باختصار شكل من أشكال التجريب الروائي الذي مارسته الرواية الجزائرية المعاصرة.

لأجل لك جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الإشكالية التالية: ما مفهوم التجريب الروائي كما تمثَّلته الدراسات النقدية الجزائرية المعاصرة؟ وما هي أشكال التجريب الروائي ودلالاتها التي تمظهرت في الدراسات النقدية.؟ ما هي خصوصية التجريب ودلالة أشكاله كما تمثلها الروائي " **واسيني الأعرج**" في راية " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**". للإجابة عن هذه الأسئلة اقتضت خطتنا الإجرائية التي رسمناها في ثلاثة محاور فضلا عن المقدمة والخاتمة. تناولنا في المحور الأول مفهوم التجريب الروائي بوصفه المفهوم المهيمن في المنجز النقدي الجزائري المعاصر.؟ وفي المحور الثاني حللنا ظاهرة التجريب الروائي كما رصدتها الدراسات النقدية الجزائرية المعاصرة.؟ وفي الثالث تناولنا أشكال التجريب الروائي عند " واسيني الأعرج" كما تصورها في روايته " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد** " من خلال الدراسة النموذجية التي انتقيناها للباحث " **الطاهر روينية**" **الموسومة** " **جدلية التاريخي والمرجعي في كتاب الأمير لواسيني الأعرج**".

لتحقيق هذه الغاية وبلورة محاورها الرئيسة، استعنّا **بالمنهج الاستقرائي التحليلي** بوصفه المنهج الكفيل بتحقيق المقاربة وتتبع المنجز النقدي الروائي الذي احتضن أشكال التجريب في الروائية الجزائرية المعاصرة. وختمنا الدراسة بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، أهمها إبراز التسامح والانفتاح على الآخر، من خلال التركيز على مظاهر الاختلاف والمفارقة والوقوف على القيم الإنسانية التي يجسدها كل من **'الأمير عبد القادر' و'مونسينيور ديبوش'.**

2 ــ مفهوم التجريب الروائي:

من المفيد لأي دراسة نقدية تطمح الصرامة المنهجية أن تسعى لتحديد المفاهيم الإجرائية لتتمكن من تحديد النسق المنهجي الذي يسوس الدراسة، ومن ثم وجب تحديد المفاهيم والآليات التي نستعين بها لتفسير المسار النقدي للظاهرة النقدية المستهدفة. وكان لزاما علينا ضبط مفهوم " التجديد" قبل تناول مفهوم " التجريب الروائي"، لسبب بسيط وهو أن أي تجريب في الإبداع لا يخرج كونه أن يكون ظاهرة تجديدية في الأدب. إن مفهوم التجديد " لا يعني القطيعة بين السابق واللاحق، ولا يتعلق بالتعاقب الزمني، فلا بد للعمل الأدبي من زمن حتى ينضج ويستوي. فكم من مبدع نهج غير نهجه مرات عديدة، وجرَب طرقا شتى في فنه حتى وصل إلى مراده، فبدأ يافعا ووصل، وقد شاب من رأسه، فالإبداع لا يقف عند ميلاد مبدع، ولا عند وفاته، فهو مستمر مع تجدد الساعات." (قسمية، 2008، صفحة 33) من هنا يمكن القول إن العمل الإبداعي مهما كانت طبيعته وجنسه، فهو في تجدد دائم ومستمر، حاله حال المياه التي تتدفق في الأنهار، فهي تتجدد باستمرار، وبلا توقف، وهكذا الفن الروائي يتجدد في كل لحظة.

إن الجدة التي قصدها منظرو الرواية الجديدة في فرنسا لا تخرج عن مفهوم التجريب، وهي ترتكز بالأساس على الرؤية إلى الواقع الفعلي التي آل إليه الوضع الإنساني بعد الحرب الكونية الثانية الذي خلف دمارا مذهلا في الممتلكات الحضارية ودمر النفوس والعقول، وبالتالي كان لزاما على الرواية الجديدة أن تواكب الواقع الجديد لتزيل الآثار المأساوية، بتناول **تيمات** ومضامين جديدة لإنسان ما بعد الحرب الكونية، وبالتالي فإن الجدة المستهدفة هي تجديد المضامين والتيمات الواقعية.

إن التجريب في الكتابات الروائية شقيق الإبداع، فهو ابتداع أشكال جديدة وأنماط مبتكرة من الكتابات فرضها الواقع السوسيولوجي والأيديولوجي والابستيمولوجي للراهن. لذا نجد التجريب الروائي يعرف حركية مستمرة، لا يقتصر على زمن دون آخر، فهو ابتداع متواصل، ووعي بضرورة ترهين وتجديد الكتابات الروائية. من هنا يعتبر كثير من النقاد أن كتابة الرواية الجديدة " لا قواعد لها ولا وازع، مفتوحة على كل الممكنات، وغير محددة من جميع الجوانب إذا صح القول، على خلاف الجنس الروائي التقليدي الي يتصف بأنه من الانتظام بحيث لا يخضع للأوامر والمحظورات فحسب، بل إنها هي التي تصنعه." (مارت، 1987، صفحة 64)

جاءت الرواية الجديدة لتستوعب الواقع بتناقضاته وصراعاته التي لن تنتهي بنهاية الحرب الكونية الثانية. فالرفض للواقع المأساوي قابله رفض للواقع الثقافي والإبداعي والفكري القائم، فاستجابت الرواية الجديدة للراهن بما يحمل من تطلعات ووعي ممكن. إذ حاول الروائي فهم الواقع المعقد، لذلك نادت " **ناتالي ساروت**"، و**'فرجينيا**

ولف'، ومارسيل بروست ... الذين رأوا ضرورة استجابة الكتابة الروائية للهموم الحضارية المشتركة." (أحمد، 2003، صفحة 41) فما هي الأسباب التي دفعت الفكر الروائي الجديد إلى تقزيم الرواية التقليدية.؟

من غير المعقول أن تجد الرواية التقليدية قراء يستجيبون لها، في ظل ظروف كلها صراعات وتناقضات ومآسي طاحنة في آسيا وأفريقيا والشرق والأوسط، ناهيك عن الصرعات والحروف الباردة التي أعقبت حربا كونية طاحنة.

فقدت الرواية التقليدية الهالة والتقديس الذي كانت تتمتع به خاصة على مستوى الشخصية التي هيمنت عليها، فكان لا بد من تجريب جديد يخرج الرواية التقليدية من مرحلة التقديس، إلى مستوى آخر يبعث فيها التجديد والحياة، فكان أن تحولت الشخصية في الرواية الجديدة إلى مجرد كائن، أو رقم رياضي،" هذا ما يقر به مصطلح ' **التشيؤ réification'** الذي أطلقه **'جورج لوكاتش'**، وأخذه عنه' **لوسيان غولدمان'**، في الستينيات للدلالة على اختفاء الشخصية في الرواية الجديدة، وحلت محلها الأشياء." (قسمية، 2008، صفحة 34)

أكد 'سمير سعيد حجازي على هذه الفكرة، حيث تحولت الشخصية في التجربة الروائية الجديدة إلى شيء مستقل، فلا نشاط لها ولا استقلال 'فــ" حل مكان الشخصية واقع مادي مستقل عن العالم، حيث تتحول الشخصية نفسها من موضوع تبادل، إلى شيء مستقل ن نشاطها وإرادتها. -" (سمير، 2001، صفحة 115) إن الرواية الجديدة عند الغرب، هي مشروع تجربة جديدة في الكتابة السردية، تجربة فرضها معطى تاريخي وحضاري وأيديولوجي للإنسان الجديد الذي لم يعد ينسجم مع الإنسان التقليدي الذي صنعته الرواية التقليدية، وبالتالي فقدت الشخصية مكانتها وهيبتها التي كانت تتمتع بها في الرواية التقليدية،" إن مفتاح الرواية الجديدة هو الشخصية نفسها، تلك التي لها ماض ولا أعماق، ولكنها شيء في سبيل الاكتشاف لا يتكون إلا في رأس القارئ، الذي يحياه، بوصفه الشخصية الوحيدة الحية في الكتاب." (العشري، 1977، صفحة 26)

تقوم بؤرة التجريب والتجديد في الرواية الغربية على الشخصية بوصفها البنية التي ينهض عليها كل تجريب روائي، فقد امتلكت الشخصية كل شيء في الرواية التقليدية، حظيت بالعناية الفائقة، فكانت محل اهتمام القارئ التقليدي، التي كانت مثله الأعلى، وقدوته في كل شيء، ولكن لم تدم هذه العناية والهالة والتقدير الذي فقدته بفقدان هويتها وكينونتها.

إن التجريب لا يختلف عن التجديد، بل هما مفهومان متداخلان لا يمكن الفصل بينهما، فالتجديد لا يتمظهر في العمل الروائي إلا من خلال التجريب، الذي يضفي عليه هذه الروح، كلاهما لصيق بالآخر. فالتجريب " نمط

من الفهم والممارسة، يرفض التقليد أو الركون إلى ما هو منجز في أي حقل من الحقول المعرفية والإبداعية. كم يتسم بالمساءلة الدائمة للماضي والحاضر معا، استهداف للأفضل والأقدر على الاتساق مع العصر، والاستجابة لحاجاته وضروریاته." (عطانعيسة، 2001، صفحة 78) وإذا كان التجريب في الخطاب النقدي الغربي لصيقا بالتجديد، رافضا لكل أشكال التقليد، فهو لا يعني القطيعة مع السابق، فما هو مفهومه في الخطاب النقدي العربي المعاصر.؟

الواقع فإن التجريب في الرواية العربية المعاصرة، لم تظهر ممارسته الفعلية مع ظهور الرواية العربية، إذ كان ظهوره متأخرا لعوامل كثيرة مرتبطة بالوضع السياسي والأيديولوجي والتحرري للعالم العربي، ذلك أن غالبية الأقطار العربية، كانت منشغلة بأوضاعها الداخلية، وانشغالها بالشعارات الأيديولوجية، التي شكلت **التيمات** المركزية للرواية العربية، وهي **التيمات** التي تفرض هيمنة الشكل التقليدي للرواية. بدأ الاهتمام بالتجريب الروائي في فترة الثمانينيات حيث ظهرت بعض النصوص الروائي العربية في شكلها التجريبي الجديد، فضلا عن ظهور بعض الاهتمامات النقدية التي اشتغلت على التنظير، التي وعت بأهمية التجريب الروائي الذي يتجاوز الرفض السلبي.

يشير **'محمد برادة'** أن التجريب الروائي لا يعني بتاتا الخروج عن أعراف الكتابات السردية، ولا يعني استعارة صور وإشكال من الكتابة تمت تجربتها في سياقات أخرى، إنما هو وعي بالتجريب وفهم لأبعاده وأهدافه. وهذا ما أكده في قوله:" التجريب لا يعني الخروج عن المألوف بطريقة اعتباطية، ولا اقتباس وصفات وأشكال جربها آخرون في سياق مغاير. إن التجريب يقتضي الوعي بالتجريب، أي توفر الكاتب على معرفة الأسس النظرية لتجارب الآخرين، وتوفره على أسئلته الخاصة، التي يسعى إلى صياغتها صوغا فنيا، يستجيب لسياقه الثقافي، ورؤيته للعالم. (أمنصور، 1999، صفحة 46)

إذا كان مفهوم التجريب الروائي عند **'محمد برادة'** هو وعي بالتجريب واستعارة أشكال من الكتابة من تجارب أخرى، فهو عند الناقد **'عبد الحميد عقار'** لا يخرج أن يكون تقنيات تهدف إلى محاولة فهم الواقع بصورة أعمق، أي أنه تعبير عن طموحات ورغبات المبدع،" إن قانون التجريب سلسلة من التقنيات ووجهات النظر، تسعى إلى تجاوز الفهم القائم عن العالم، ووضعه وموضع تشكيك وتساؤل." (أمنصور، 1999، صفحة 24)

غير أن التجريب عند **'إدوارد الخراط'**، فهو حساسية جديدة للكتابة، تطمح إلى تشكيل رؤية استشرافية نحو عالم جديد، نحو طموح في التغيير ونظام من القيم، لأن الكتابة التقليدية لم يعد بمقدورها التعبير عن ذلك، ومن الأفضل البحث عن " الحساسية الجديدة (التي تمثل) استشرافا لنظام قيمي جديد على المستوى الثقافي والاجتماعي والتاريخي." (الخراط، 1993، صفحة 23) ويطل علينا **'صلاح فضل'** بمفهوم جديد للتجريب الروائي، وهو مفهوم

نراه يتسم بالدقة والتصنيف المعياري والشمول، الذي يمكن اختزاله في ثلاث مفردات، هي **ابتكار عوالم جديدة، وتوظيف تقنيات فنية محدثة، واكتشاف مستويات لغوية غير مألوفة.**" (شاهر ، 2025)

3 ــ أشكال التجريب في الدراسات النقدية الجزائرية المعاصرة

إن المتتبع للحركة النقدية الجزائرية المعاصرة، التي اهتمت بالرواية الجزائرية، ورصد حركية تطور تجاربها الكتابية، يسجل أن حساسية التجريب الروائي بدأت محتشمة إن لم نقل متواضعة، ذلك أن الكتابات الروائية الأولى التي ظهرت بعد الاستقلال، لم يكن همها سوى التأسيس للكتابة الروائية التي كانت تستجيب للانتصارات الباهرة على الاستدمار الفرنسي، ومسايرة إنجازات الثورة بعد الاستقلال، لذا كانت التجارب الأولى هي محاكة للزمن في أحداثه، في **'التيمات'** والتقنيات، فهي مجرد،" مدونة نصية روائية جديدة من الناحية الزمنية لروائيين جزائريين، دون تمييز اعتباطي بين جيل وآخر خارج ما يقوله النص." (حميدة، 2013)

نشير في هذا المبحث إلى أهم أشكال التجريب الروائي التي كانت محل اهتمام الروائيين الجزائريين، سواء على مستوى المضمون، أو الشكل، نوردها حسب أهميتها وأولويتها، محاولين تحليلها، وبيان وعي المبدع فيها، كاشفين وظيفتها ودلالتها الفكرية والجمالية، من خلال النموذج الذي رشحناه للدراسةــ كتاب الأمير لوسيني الأعرج ــ، لأنه يجمع أشكالا متعددة للتجريب.

أدرك الروائيون الجزائريون أهمية التوجيه التجريبي نحو توظيف التاريخ، وأثره ومآلاته، مستفدين من القراءات النظرية للخطاب النقدي الغربي والعربي على حد سواء، وقد وعي الروائيون توظيف التاريخ ، باعتباره شكلا جديدا من أشكال التجريب الروائي، له أثره في صياغة الدلالة الحاضرة، فاللحظة التاريخية في العمل الروائي لم تصبح من الماضي، بل من الحاضر، الذي احتاج إلى الماضي لكي يفسره، إن " الأثر التاريخي لا يصبح أثرا دالا على ماضي إلا في اللحظة التي يدمر فيها طابعه الزمني من خلال استحضار الطابع اللازمني الخاص بالتفكير في الحدث." (Ricoeur, 1985, p. 292)

اكتسب الكتاب الروائيون الجزائريون المعاصرون تجربة واسعة في توظيف التاريخ، وموروث الأمة العربية الإسلامية، تجربة اكتسبوها من خلال اهتمامهم الخاص بالتاريخ، فضلا عن قراءاتهم الواسعة للإبداعات الروائية التي وظفت التاريخ، وإدراكهم للقيمة الجمالية المضافة من توظيف التاريخ،" وأصبح توظيف التراث ينحو منحى جماليا بما ينطوي عليه هذا التوظيف من بعد أيديولوجي سياسي. وانطلاقا من القراءة التي يتبناها الكاتب وظف التراث المتعلق بحرب التحرير، ثم التراث العربي الإسلامي، ثم التراث السردي." (مخلوف، 2005، صفحة 105)

كشفت النصوص الإبداعية التي كتبها الروائيون الجزائريون، أن تجربتهم في توظيف التاريخ وكتابته حظيت بكثير من الاهتمام، خاصة تاريخ الثورة التحريرية،" غير أن هذا التعامل الذي يجمع بين الرواية والتاريخ كمرجع وواقع لم يكن هيّنا، إذ يجد فيه الروائي الكثير من العسر والصعوبة، فهو في تحد دائم مع المؤرخ الذي يكون شغفا بتدوين التاريخ الرسمي، تاريخ النصر والهزيمة." (حطاب، 2016، صفحة 150)

غير أن التعامل مع التاريخ، يحتاج إلى روائي حصيف نبيه، يعرف كيف يتعامل مع المادة التاريخية بذكاء وحذر، فالروائي ليس باحثا في التاريخ، إنما قارئ له بطريقة تمكنه من الوصول إلى تفسير الواقع من خلال أحداث التاريخ، والكشف عن المضمر والمسكوت عنه. " صحيح أن التاريخ يفتح أبوابه للروائي، لكنه يفعل لك بمكر كبير، إذ بمقدار ما تكون المادة التاريخية متاحة، وفي بعض الأحيان مطبوعة، إلا أن الأهمية، وبالتالي النتيجة، تتوقفان على هذه الطريقة التي يتعامل بها الروائي مع هذه المادة. تماما كخشب الغابات الموجود بكثرة في الطبيعة، غير أن معظمه يذهب وقودا، والقليل منه يتحول إلى تماثيل ومنحوتات ليسافر في التاريخ من جيل إلى آخر، ويبقى دليلا على عبقرية الإنسان." (منيف، 2005، صفحة 65)

إن التاريخ بدقته وموضوعيته، لا يشكل عقبة أمام النصوص الإبداعية، بل هو في حاجة إلى مبدع ملهم حصيف يعرف تطويع الموضوعي ليجعله منسجما مع التخيُّلي، " إن انتقال.. التاريخ إلى الأعمال والنصوص الأدبية ذات الطابع التخيّلي لا يعني ـ إطلاقا ـ هيمنة الموضوعية التاريخية على السياق التخيُّلي، بل العكس من ذلك، فالنص الناجح هو الذي يوظف هذه الموضوعية التاريخية على أساس أنها خلفية للأحداث، تعطي الحدث طعمه وموضوعيته، ولا تعطل جماليته الفنية." (عباس ، 2005، صفحة 298) وإذا كان الكاتب الروائي يتعامل مع التاريخ، فما هو التاريخ الذي يكتبه.؟

إن التاريخ الذي يكتبه الروائي هو تلك الأحداث المنسية التي يعيد قراءتها وفق رؤياه للعالم، فالتاريخ الذي يكتبه الروائي،" تاريخ المقموعين والمضطهدين والمهمشين، ذلك التاريخ المأساوي الذي يسقط في النسيان، وتبقى منه آثار متفرقة يبحث عنها الروائي طويلا، ويضعها في كتب لا ترحب بها مكتبات الظلام." (الدراج، 2004، صفحة 369) من هنا يبرز السؤال المركزي التالي: كيف وظف واسيني الأعرج التاريخ.؟ من يتابع تجربة الكتابة عند هذا المبدع، سيتبين له أن توظيف التاريخ اقتضى منه قراءة واسعة في متونه ومصادره الأساسية، وبالتالي فإن توظيف التاريخ عنده لم يكن اعتباطيا أوعشوائيا، إنه قراءة جديدة تسقط نفسها على الواقع القائم لإنتاج واقع ممكن.

وإذا حاولنا مقارنة هذه الرواية بوصفها رواية تعاملت مع التاريخ، مع روايات جزائرية أخرى مزجت بين التاريخي والمتخيّل، فإن رواية " كتاب الأمير" تعتبر الرائدة في هذا المجال، بإجماع الباحثين والنقاد." ' كتاب

الأمير' ليس أول رواية تستلهم التاريخ، وتستقي مادتها منه، ولكنها أول رواية ضربت قصب السبق في الكشف عن بعض الحقائق المنسية في تاريخ الأمير بد القادر وحياته، وإبراز دوه الفعال في الحوار الحضاري والتقريب بين الديانات." (حطاب، 2016، صفحة 152)

إن نباهة الكاتب واسيني الأعرج تكمن في الكشف عن الحقائق المنسية في تاريخ الأمير التي نسج من خلالها عملا إبداعيا، إنما تكمن في جعل أحداث التاريخ واقعية، " ولعل هذا التطابق الموجود بين الوقائع والأسماء والأماكن يثبت واقعية هذه الأحداث وتاريخيتها، ويبرهن على أن الكاتب قد عاد إلى التاريخ' تاريخ الأمير' واستقى منه الكثير من الأحداث ليعيد قراءتها وكتابتها كما هي، ويضيف إليها أحداثا أخرى من محض خياله، ليزاوج بين ما هو تاريخي مرجعي، وما هو روائي متخيل..." (حطاب، 2016، صفحة 154/153)

3 ــ 1 التجريب الروائي عند واسيني الأعرج

قراءة تحليلية لرواية " كتاب الأمير"

تطرح الباحثة عائشة بالطيب في بحثها الموسوم" الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج" سؤالا إشكاليا مفاده " ما هي الدوافع التي تقف وراء توظيف ' واسيني الأعرج' لسيرة "الأمير" وحكاية البيت الأندلسي وتاريخه وحكاية "مي" مع وطنها وهويتها الضائعة بين الألوان والأعمال الفنية الإبداعية؟ وهل الأمر يقف عند حدود المواقف الإيديولوجية، أم أن هناك دوافع أعمق كانت سببا في ميلاد هذه الأعمال.؟ وما هي الجماليات الفنية التي حققها استناد الكاتب على المادة التاريخية، والآليات الفنية المعتمدة في نص الرواية من أجل إدراك غايات الكاتب.؟ (بالطيب، 2014، صفحة ب)

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي منا تتبع مسار تجربة الكتابة الروائية 'لواسيني الأعرج'، وهي تجربة يصعب عرضها وتحليلها في هذا المجال الضيق الذي لا يسمح بذلك. غير أنه تجب الإشارة أن تجربة الروائي تعد من التجارب الرائدة والمتميزة التي يشهد لها كبار النقاد والباحثين العرب وغيرهم، ونشير في هذا السياق إلى الشهادة التي أدلى بها 'سعيد يقطين' في كتابه 'الرواية والتراث السردي' في سياق تقييمه لتجربة 'واسيني الأعرج'، إذ اعتبرها من أهم التجارب المتميزة كما وكيفا في الجزائر وفي الوطن العربي،" إنه من الروائيين القلائل الذين نجحوا من خلال إبداعهم الأدبي أن يتجاوزوا حدود الوطن، ويفرضوا إنتاجهم الروائي في مختلف أرجاء الوطن العربي." (يقطين ، 1992، صفحة 49) وفي السياق ذاته يشير الناقد' محمد ساري' في تقييمه للتجربة الروائية الواسينية، التي كانت متعثرة في مراحلها الأولى خصوصا الروايات التي التصقت بروايات' الطاهر وطار'" (ساري ، 2007،

صفحة 127) وسرعان ما تخطى واسيني الأعرج المرحلة الوطارية، بالاطلاع على تجارب عالمية مكنته من تعميق التجريب في الكتابة الروائية، وتخطيه البداية المتعثرة.

تُعد رواية (كتاب الأمير) تجربة جديدة في الكتابة الروائية، ونمطا من الكتابة استعاره واسيني الأعرج من المؤرخين، إذ أكد على هذه الفكرة الباحث 'مصطفى المويقن' في قوله:" ظهر شكل روائي جديد يستوحي الشكل التاريخي السائد في الكتابات التراثية التاريخية، كمحاولة لتأصيل شكل تراثي عربي في الرواية." (المويقن، 2001، صفحة 111) ولا شك أن تبويب رواية (كتاب الأمير) يؤكد أن كاتبها استوحى تقسيم الرواية من كتب التاريخ، ولا نغالي إن قلنا إن أنماط التبويب مستوحى من كتاب ' المواقف' على حد تعبير الباحث 'السعيد زعباط'، "ويتمثل هذا النمط من تبويب الرواية على غرار ما نجده في كتب التاريخ، ثم تفريع كل باب إلى أجزاء أو مقاطع سماها وقفات، حتى تكون أحد تسميتها من كتاب المواقف للأمير عبد القادر، من خلال ما يوحي به عنوان الرواية (كتاب الأمير)". (المويقن، 2001، صفحة 18) إن العلاقة بين الرواية والتاريخ لا تتوقف عند استحضار المضمون التاريخي الذي كان حاضرا بقوة، بل تجاوزه " إلى الشكل، فهي ستمد منه مادتها الحكائية، ومنه كذلك تستمد شكلها وتشكل بنائها" (المويقن، 2001، صفحة 18)

3 ــ 2 تجربة واسني الأعرج (كتاب الأمير) في ميزان النقد

قراءة الطاهر روابنية (جدلية التاريخي والمرجعي في " كتاب الأمير ")

استوحينا هذا العنوان من الدراسة التي أنجزها الباحث ' **الطاهر روابنية**' وهي الدراسة التي خصصها لـ "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج الموسوم" جدلية التاريخي والمرجعي في "كتاب الأمير " لواسيني الأعرج"، تناولها في ثلاثة محاور رئيسة هي: " 1ـ شعرية العتبات،2ـ واقعية الماضي واستراتيجية المحكي،3ـ تعدد الرواة واللغات."

بيَّن الباحث أن رواية " كتاب الأمير"، هي رواية تاريخية، لكنها لا تقول التاريخ، فهي إعادة لقراءة التاريخ وفق ما تفتضيه رؤية الواقع السوسيولوجي والإيديولوجي. من هذا المنظور اعتبر ' الطاهر روابنية' رواية "كتاب الأمير" قراءة جديدة للتاريخ، بمعنى أنها قراءة تهدف إلى تمثل الواقع الجزائري من خلال قراءة التاريخ" بوصفه وضعا إنسانيا ذا مدلول وجودي." (القاضي، 2018، صفحة 11) بمعنى أن التاريخ ليس سردا للأحداث الماضية، إنما له دلالة تفسير الوجود الإنساني، " وهو ما يؤكد خطاب "**المناصصة**" في الصفحة الأخيرة لغلاف "كتاب رواية الأمير" ، فهي لا تقول التاريخ لأنه ليس هاجسا، ولا تتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها، فليس ذلك من مهامها الأساسية، تستند فقط إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ قوله " (روابنية، 2014، صفحة 195)

الواقع فإن رواية ' كتاب الأمير' تختلف اختلافا جذريا عن الروايات السابقة التي كتبها واسيني الأعرج، وعن روايات الروائيين الجزائريين من الجيل الأول والثاني، فللأعرج رؤية في قراءة التاريخ، تقوم على استراتيجية خطابية، تهدف إلى تأويل التاريخ من خلال المتخيل الروائي لـ"إقامة حوار حضاري ثقافي، بدل اللجوء إلى **الاحتراب** الكلامي، حيث تسعى البلاغة الجديدة إلى اقتراح أدوات وممارسات خطابية تجسر الهوة بين الفواعل المتواجهة، تهدف إلى مجاوزة العنف الجسدي واحتواء المواجهة جسد بجسد في مواجهة كلمة بكلمة." (روابنية، 2014، صفحة 196/195)

تَمثَّلَ 'الطاهر روابنية' رواية " كتاب الأمير" على أنها رواية خارجة عن المألوف والعادي، لأنها لا تقتبس مادتها السردية من التاريخ فحسب، بل إنها تقوم بمساءلة جديدة له، مساءلة تهدف إلى الكشف عما لم يقله التاريخ وسكت عنه، وتصحيح الأخطاء التاريخية التي غرست في اللاوعي الجمعي قصد طمس التاريخ وتشويه حقائقه، مساءلة اعتبرها 'الطاهر روابنية' " جديدة ومختلفة، أقرب إلى درس في حوار الحضارات ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام بين الأمير من جهة ومونسنيور 'ديبوش" و'نابليون الثالث' من جهة ثانية، والتي تفضي إلى إعادة تشكيل وعي الذين انغمسوا في حروب القرن التاسع عشر." (روابنية، 2014، صفحة 196)

لبلورة هذه الاستراتيجية النصية التي استندت عليها الرواية، حدد الناقد ثلاثة محاور ـ كما قد أشرنا إليها في المدخل ـ أولاها ما اصطلح عليه ب " **شعرية العتبات**" إذ حاول الروائي الجمع والتأليف بين السردي والتاريخي والمتخيل الروائي، وهذه ليست بالمهمة السهلة، فهي تقتضي كاتبا حصيفا قادرا على أن ينتج حوارا بين هذه التوليفات الثلاثة، الغرض منها الوصول إلى " تشكيل خطابي يحاول أن يتجاوز مقولة الجنس والنص المتفرد والمتعالي إلى مفهوم الكتاب، وهو ما سجله عنوان الرواية(كتاب الأمير)، وهو مفهوم عام، الغاية منه تتعدى حدود الجنس، وتعيد النظر في مفاهيم الحقيقة والخيال، والذاتي والموضوعي، و**الأنا والأخر**، من خلال كتابة تلغي الحافات، حافة التاريخ، وحافة المتخيل"، أي كتابة تحاول أن تسقط الأسوار التي شيدتها الحروب والإيديولوجيات، وترجمتها الممارسات الإبداعية المنغلقة بنوبا وثقافيا في شكل إمبراطوريات من القطائع التي يحكمها مبدأ الاحتراب." (روابنية، 2014، صفحة 197)

4 ــ أشكال التجريب في رواية " كتاب الأمير "

4 ــ 1 الشكل الأول من التجريب الروائي: عتبة التصدير

يشير مصطلح **'العتبة/ التصدير'** على أنه عتبة شاملة لكل أنواع النصوص والخطابات التي تتصدر الأعمال الروائية، وهي حاضرة في الرواية العربية المعاصرة بشكل مكثف. ينظر إليها على أنها لازمة نصية " لا يكتمل الشكل الخارجي للعمل الروائي إلا بها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لفعاليتها الدلالية بوصفها ملفوظات هامة في تأويل النص. وأيضا باعتبارها إحدى مظاهر التحديث والتجريب والتأصيل الي تتح الكتابة المعاصرة إلى تحقيقه." (عرب الشعبة، 2022، صفحة 537/536)

ومن هنا يبرز السؤال المركزي التالي: هل التصدير في الرواية عتبة شكلية الغرض، أم له وظائف دلالية من منطلق علاقته المنطقية بالمتن الروائي، وعلاقته الافتراضية بالنص الخارجي، (كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد.)؟ إن القراءة الأولية للعنوان الأساسي " كتاب الأمير" ـ بعد مفتاحا لدلالات النص ــ الذي يندرج تحته عنوان فرعي آخر " مسالك أبواب الحديد " يضعنا في جو الانفتاح على الآخر. فالعنونة المضافة قد تخفي رغبة أخرى في التسمية تسمية العالم: العالم، والعناصر، والأشياء. فالدال" الكتاب" يحيلنا على أكثر من مدلول. إنه يضعنا على عتبات الانفتاح على الآخر، فالكتاب يوحي بمعاني التواصل والتفاعل واللقاء مع الآخر. (شطاح ، 2017، صفحة 350)

أما العنوان الفرعي للرواية " مسالك أبواب الحديد" يقدم إضافة دلالية، إذ " يحدد طبيعة هذا الكتاب، إذ هو محاولة لعبور الزمان والمكان والحدود العرفية والجغرافية، عابر للأحقاد ومثقال على التاريخ عبر مسالك وعرة لتجسير العلاقة بين الشرق(العرب) والغرب، ناشرا المحبة والصفاء بين أولئك الذين لم تنصفهم الأقدار يوما، فوجدوا أنفسهم أمام حروب ليسوا هم أول من بدأوها." (شطاح ، 2017، صفحة 350)

تجلى خطاب العتبات في رواية " كتاب الأمير" كمقوم من المقومات الخمسة المكونة ‘للمتعاليات النصية **transcendance textuelle**‘أو التعالي النصي كم حدده ' جيرار جيبت' في كتابة (أطراس) **Palimpsestes** 1982 ' ، وكتابه عتبات **Seuils** ' 1987، ووضع مصطلح ' المناص **Paratexte** ' بوصفه نصا موازيا لنصه الأصلي، الذي عرفه بقوله:" هو ما يصنع به النص من نفسه كتابا، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قارئه وعموما على الجمهور، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات لغوية وبصرية" (Genette, 1982, p. 13)

وبهذا يكون ' **المناص' Paratexte** علامات تتعاضد لتقوية وتوضيح النص الأساسي الأصلي تدور في فلكه، وتفسر معانيه ودلالاته. من أجل ذلك أدرك 'واسيني الأعرج' أهمية عتبة التصدير لما لها من دور بارز في صياغة شعرية النص" وقد لعبت عتبة التصدير ـ من خلال الاستشهاد ـ بين المقيدين بمزدوجتين تؤطران خطابين صيغ الأول بالعربية ونسب إلى **مونسينيور ديبوش:" في انتظار القيام بما هو أهم أعتقد أنه صار اليوم من**

واجبي الإنساني أن اجتهد باستماتة في نصرة الحق تجاه هذا الرجل وتبرئته من تهم خطيرة ألصقت به زورا، (Genette, 1982, p. 13) وربما التسريع بإزالة الغموض وانقشاع الدكنة التي غلَّفت وجه الحقيقة مدة طويلة." وصيغ النص الثاني باللغة الفرنسية ونسب إلى الأمير عبد القادر"

Si tous les trésors du monde étaient déposés à mes pieds, et s'il m'était donné de choisir entre eux et ma liberté, je choisirai la liberté "(واسيني، 2004، صفحة 193)

إن الاستشهاد الذي أورده الروائي في التصدير، له أهميته الدلالية في توضيح الرواية بوصفها نصا أساسيا، فهو (الاستشهاد)" يشكل مركز ثقل في ميزان الكاتب، وكلمته التي يواجه بها كلام القارئ، ويعمل على توسيع أفقه الثقافي من أجل بلورة موقف منسجم مع ما يريد أن يتبناه القارئ من تأويلات ممكنة، ولذلك فإن 'واسيني الأعرج' يتخذ من هذا التصدير بيانا يمهد لإمكانية قيام مصالحة بين الراهن والتاريخ"." (واسيني، 2004، صفحة 198) إن هذا التصدير الذي لمح إليه ' واسيني الأعرج' لم يكن اعتباطا، بل جاء به ليبلور رؤياه التي تهدف إلى تجاوز خطاب العنف واحتواء المواجهة في شكل تصالحي" (واسيني، 2004، صفحة 198)

تضمنت عتبة التصدير نصين واحد باللغة العربية، والثاني باللغة الفرنسية، وهذا أمر له دلالته ومغزاه عند الروائي،" يمكن أن يكون ... أراد أن يخرق كل الحدود والحافات، وأن يعلن منذ بدء التخييل عن نزعة حوارية ذات سبغة حلولية تتناسخ في فضائها الذوات واللغات، مشكلة أطراسا نصية، ومحققة نوعا من التعايش السلمي، ولكنه يعد بالنسبة للمرجع الواقعي تعايش الأشباح لا الأروح." (واسيني، 2004، صفحة 200)

4 ـ 2 الشكل الثاني من التجريب: الماضي التاريخي واستراتيجية الحكي

تشكل رواية " كتاب الأمير –مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج نموذجا روائيا واعيا ومثالا لامعا للصوت المعبر عن الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، إذ قدمت الرواية استراتيجية جديدة ومنعرجا واضحا لفكرة الحوار الحضاري، مستشرفا علاقة جديدة مع الآخر. لقد أعاد واسيني الأعرج قراءة التاريخ بمحو الصورة السلبية التي رسخت في ذهن الغرب عن الشرق، مناهضا قراءة المؤسسة الاستعمارية الفرنسية السلطوية، كاشفا عن المضمر في التاريخ.. عن المسكوت عنه، بزعزعة تلك الصورة النمطية العدائية التي تشكلت في المتخيل الغربي، ليفتح الباب على مصراعيه لإمكانية الانفتاح والحوار بين الشرق والغرب باتخاذ استراتيجية جديدة للحكي والسرد.

قدم " واسيني في هذه الرواية رؤية عن التلاقي الحضاري دون مواربة، رؤية تحمل القابلية على اتفاق البشر على حدود معينة للتعايش الكريم في ظلال السلم. من أجل ذلك رأيناه ...يبث رؤيته من خلال تجربتين دينيتين تخصّان الأنا والآخر عبر تقديم مسرود حياتية مفترضة " **للأمير عبد القادر**" و " **مونسينيور ديبوش**" لتصبح

استراتيجيا تخص الحوارات المفترضة ...فتبرز شخصية الأمير متسامحة التعالي عن الأحقاد وتؤمن بفكرة التسامح." (واسيني، 2004، صفحة 201)

إن رواية "كتاب الأمير " إنجاز استراتيجي كبير، لعل الروائي يكون قد استوحى هذه الاستراتيجية من تفحصه للمصادر التاريخية المختلفة وخاصة المصادر العسكرية، التي أرهقته كثيرا وطالت قراءته فيها، بل فاقت قراءة المؤرخ المتخصص في هذه الحقبة التاريخية من تاريخ المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر. إن الاستراتيجية التي اعتمدها ' واسيني الأعرج' تقوم على **التفكيك والبناء**. فالتفكيك تركز على قراءة التاريخ وتحليل وثائقه النادرة التي وضع يده عليها أثناء إقامته بفرنسا، والبناء تمثل في الجمع والتأليف بأسلوب جعل من الرواية شيئا جديدا،" حاول' واسيني الأعرج ' من خلال تبنيه لاستراتيجية حكائية تجمع بين السرد والتاريخ والخيالي من أجل إعادة بناء حقبة زمنية من تاريخ الجزائر الحديث، هي حقبة مقاومة الأمير عبد القادر ... وما رافقت هذه السيرورة الزمنية من أحداث وتداعيات سياسية واجتماعية وإنسانية من خلال محاولة الكشف عن البنية العميقة للوعي التاريخي المصاحب لهذه السيرورة، وإعادة تفعيله وبنائه كاستمرارية بطريقة ما في الحاضر." (واسيني، 2004، صفحة 201)

جاءت رواية " كتاب الأمير " لتحاول الكشف عن **المسكوت عنه**، عن **المضمر** الذي لم يصرح به التاريخ، ولن يتأتى هذا إلا بتفكيك المكونات الأساسية للبنية العميقة للفكر الاستعماري الذي كان وراء الاحتلال الفرنسي للجزائر، فالمسكوت عنه تكشفه الرواية عن طريق التحبيك والتأليف الروائي لتعيد إلى الوجود رسم عالم واقعي لم يعد قائما. (واسيني، 2004، ص، 201) لقد كتب الروائي هذه الرواية ليملأ الفجوات التاريخية التي تركها التاريخ ولم يقل عنها شيئا لإخفاء حقيقة الاستعمار.

لفهم الهيكل العلائقي لنص "كتاب الأمير" المجسد في بنيته خطاب **المناصصة** أو **النص الموازي** الذي يبدأ من العنوان الرئيس "كتاب الأمير" والعنوان الفرعي " مسالك أبواب الحديد"، ثم العناوين الداخلية وتتكون من ثلاثة أبواب، باب المحن، باب أقاسي الحكمة، وباب المسالك والمهالك، يتصدر كل باب أميرالية، بالإضافة أميرالية رابعة تقوم مقام خاتمة الرواية. يتضمن الباب الأول خمس وقفات... ويتضمن الثاني أربع وقفات، يتضمن الباب الثالث ثلاث وقفات... حيث كثير الخاصية المجازية التي تغلف مجموع هذه العناوين التي تقوم عليها البنية الهيكلية لنص كتاب الأمير، إلى أن هذه الخطة مستمدة من كتب التراث الصوفي ... وتتقاطع مع هذه الرواية من حيث عنايتها باستقصاء المرويات التاريخية والشعبية المتعلقة ببيعة الأمير عبد القادر، وبمساره الجهادي..." (واسيني، 2004، صفحة 203)

وإذا ما نظرنا إلى خطة الرواية وبنائها العلاقي من خلال **المناصصة** التي اعتمد عليها الكاتب، فإن البنية الدلالية التي أراد الروائي الوصول إليها بعد الإحباط النفسي الذي أصاب الأمير من جراء سجنه في قصر 'أمبواز' " وما صاحب هذا الانقطاع من انفصام وتأمل روحي وتحلل من كل ما كان يشغله من أمور الجهاد ووحدة الأمة... إلى الحد الذي أصبح فيه لا يهتم إلى بأن تفي فرنسا بتعهداتها تجاهه، وهذا المعنى يشكل البنية الدلالية البسيطة والمرجعية التي يسند عليها محكي الأمير من أجل إنتاج كل من الدلالة المتدرجة والمتجاوزة للمراجع الواقعية التاريخية." (واسيني، 2004، صفحة 203)

أشار الباحث ' الطاهر روابنية ' إلى البياض الذي ورد قبل الخاتمة الذي استغرق صفحتين (555/544)، وهو بياض ــ كما رآه الباحث ـ يدخل في استراتيجية الرواية، تسهم في تأويل النص، كما يمكن أن يشير هذا البياض إلى إمكانية دفع القارئ إلى المشاركة في مواصلة كتابة القصة ... لكننا يمكن أن نذهب مذهبا آخر نتعامل من خلاله مع هذا البياض كضرب من ضروب الفصل المبرمجة على مستوى النص" **للوصل والفصل Disjonction** " بين قصتين تشكلان مسارين مركزيين، هما قصة ' مونسينيور ديبوش' وقصة الأمير عبد القادر." (واسيني، 2004، صفحة 204)

4 ــ 3 الشكل الثالث من التجريب الروائي: تجربة الزمن الدائري وعودة الرجلين إلى الجزائر

إن التجريب في رواية " **كتاب الأمير** " لواسيني الأعرج اتسم بصبغة شمولية انسجاما مع روح الرواية وطبيعة مضمونها، فهو لم يقتصر على مستوى من مستويات البنية السردية، إذ ألفنا الكاتب يستعين بفكرة **دائرية الزمن** التي تقوم على الديمومة والاستمرارية، وهي تعد من أهم تقنيات الكتابة لدى ' واسيني الأعرج' وهي فكرة مستوحاة من الإرث السردي، وهي تصور الشعوب القديمة للزمن لاعتقادها بتكراره، وهو يقوم على التتالي والدوران.

بمهارة عالية وتقنية فنية جديرة بالاهتمام والدرس، حيث يبدأ السرد من الأميرالية وعندها يتوقف في الرواية، إنها" بنية زمانية دائرية تسهم في إنجاز ديمومة دائرية متمركزة في الزمن الراهن، وهو زمن السرد والسارد 'جون موبي' ... حيث وقف قرب الأميرالية ينتظر رفقة الصياد المالطي وصول الباخرة التي تحمل رفاته(مونيستيور ديبوش) إلى ميناء الجزائر...لكن هذه الديمومة الدائرية تنفتح على أزمنة تاريخية وأساطيرية وسيرية تتضمن ما لا حصر له من الذكريات والحوارات الداخلية ذات الطابع العام أو الحميمي للشخصيات وبخاصة شخصيتي الأمير ومونسنيور ديبوش" . (واسيني، 2004، صفحة 206/205)

كما أعاد الروائي رفاة ' منسينيور ديبوش'، عمل أيضا وبطريقة فنية ذكية على إعادة رفاة 'الأمير عبد القادر' إلى أرضه... إلى وطنه، فكيف استطاع الروائي ' واسيني الأعرج' فنيا أن يجسد ذلك.؟ للإجابة عن هذا السؤال نسرد ما قاله الباحث 'الطاهر روابنية' :" من خلال هذه الديمومة الزمنية الدائرية الحاضنة لمجموع أزمنة الرواية يحلو 'لواسيني الأعرج' ككاتب واقعي عاملا على خلخلة هذا النظام الزمني الدائري من خلال حركة لا شعور الراوي المتماهي مع الكاتب محققا قفزة زمنية استباقية يشير فيها إلى عودة رفات الأمير أيضا إلى أرضه. (واسيني، 2004، صفحة 206)

4 ــ 4 الشكل الرابع من التجريب الروائي: تعدد الرواة واللغات

أولى ' واسيني الأعرج ‘عناية فائقة في روايته " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**" لتعددية أصوات الرواة، وتأتي هذه الأهمية لتكشف عن قراءاته الواسعة للرواية العالمية خاصة روايات أعلام الرواية الروسية وفي طليعتهم أعمال " **دوستويفسكي**" فضلا عن قراءاته الواعية للإرث النقدي الباختيتي، الذي استوحى منه كثيرا من النظريات والآليات والأدوات النقدية، منها "**تعدد الراوي**"، ومفهوم ' **الرواية المتعددة الأصوات**"، مما مكنه من توجيه كتاباته الروائية وفق ها المنظور النقدي.

ولا شك أن مسألة الراوي بمختلف أنماطه: الراوي المشارك، الراوي الغائب، الراوي المتعدد، وجه الفكر الإبداعي الواسيني لاستعارة مفهوم تعدد الراوي في الرواية بوصفه المفهوم الذي يخدم مشروعه الإبداعي روايته " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**" وهو " أكثر أنواع الرواة جدة وأشد ملاءمة لطبيعة قص الحداثة، لذلك لا نجده بشكل واضح إلا في مرحلة معاصرة متأخرة، وعندنا كتّاب تجاوزوا الثقافة المحلية، واطلعوا على نماذج عالمية تهتم بهذه النوعية، وهذه التعددية تؤدي إلى قدر من تعادل النفوذ الفني في عرض وجهات النظر." (وادي، 2002، صفحة 178)

إن تجربة تعدد الرواة والأصوات أضحت مطلبا فنيا وإبداعيا ملحا، إذ لم تعد سيطرة الراوي الواحد المهيمن على القص غير ملائمة لعصر الاختلاف والرأي الآخر، عصر اختلفت فيه الموازين وتشعبت، وتنوعت فيه طرق الاتصال والتواصل، والرواية إنما " هي التنوع الاجتماعي للغات وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا." (باختين، 1987، صفحة 33)

إن المشروع الذي تبناه ' واسيني الأعرج' في روايته " **كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد**" اقتضى من الكاتب تجريب أشكال من الكتابة الروائية لتلائم طبيعة موضوع الرواية وهدفها الأساسي، هو إبراز **قيمة التسامح والانفتاح على الآخر** من خلال تركيز الوصف على مظاهر الاختلاف والمفارقة. من هنا جاءت "الرواية المتعددة

الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع.،، وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية، أي إن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي. حقا أن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشارا بكثير من العلاقات بين الردود الخاصة بالحوار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين. إنها ظاهرة شاملة تقريبا تتخلل كل الحديث البشري، وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريبا كل ما له فكرة ومعنى." (باختين، 1986، صفحة 56)

نفيد مما سبق أن الروائي ' واسيني الأعرج' أدرك أهمية الشكل التعبيري للرواية المتعددة الأصوات في تحقيق القيم التي أراد الكاتب تبليغها إلى المتلقي." هناك شكول الروايات الممسرحة ورواية الأصوات، وهي روايات تمنح شخوصها حرية تعبيرية وتكافؤا في الرأي مما يجعل الرواية حافلة بوجهات نظر داخلية نتيجة للتعدية الصوتية والتي تشعل بدورها نوعا من التوتر المقصود داخل هذه الروايات فتعكس وجهات نظر التباين الفكري والإيديولوجي والفلسفي داخل مجتمع الرواية." (التلاوي، 2000، صفحة 16)

هناك إشكالية لم يغفل عنها 'باختين'، هي العلاقة الرابطة بين صوت المؤلف (الرواية) وصوت السارد، فهي ليست بالضرورة منسجمة أو متطابقة، فقد تكون متقاطعة، كما تكون متنافرة، وينسحب الأمر نفسه على العلاقة بين صوت المؤلف وأصوات الشخصيات، التي قد تكون متقاطعة أو متباينة مع صوتي المؤلف أو السارد، فـ " صوت السارد وصوت المؤلف يتقاطعان أو يتنافران أو يشغل كل واحد منهما بنبرته الخاصة الآخر، وأصوات الشخصيات التي تتأى أو تقترب، تتماهى أو تختلف مع صوتي السارد أو المؤلف، كل شخصية أدبية من شخصيات 'دوستويفسكي ' مساوية ليس للأبطال الأخرين، بل للكاتب نفسه." (شلبية، 2001، صفحة 39)

أولى 'واسيني الأعرج' في ورايته "كتاب الأمير" أهمية خاصة للصوت انطلاقا من تعدد الأصوات واللغات المؤطرة للحكي والسرد، والذي يتضمن عدة أصوات منها، صوت المؤلف أو تعدد أصوات الرواة، غير أن هناك صوتا واحدا يسوس هذه الأصوات ويجمعها، إنه الصوت الذي يجمع أصوات العالم ليشكل منها صوتا إنسانيا." يقول أكثر من اللازم من أجل تحقيق قيمة إنسانية مضافة، حيث تسهم اللعبة السردية القائمة على تعدد الرواة والممثلين واللغات في إعادة تحديد بنية المحكي الروائي كقيمة للتبادل والحوار." (واسيني، 2004، ص 207) يظهر صوت الروائي' واسيني الأعرج' من خلال أصوات كثيرة تتكفل بالرواية والسرد، ويطل صمت الكاتب على المستوى التقني والإيديولوجي/" ومن خلال صوته وكلامه الجمع تتناسل أصوات مختلفة وتتوالد لغات متعددة كوسائط للحوار، على الرغم من اختلاف اللون واللغة والدين والتاريخ." (واسيني، 2004، صفحة 208)

في هذا السياق يركز الباحث 'الطاهر روابنية' على إبراز صوت الراوي العارف العليم الذي يعرف كل شيء، حيث يبدأ السرد في الوقفات / الفصول، من الزمن الذي شرع فيه ' منسينيور ديبوش' في تحرير **Erreur ! Référence de lien hypertexte non valide.**رسالته دفاعا عن الأمير عبد القادر، وهنا يكشف عن براعة الراوي في تعامله مع الأخبار والأحداث وطريقة عرضها وتقديمها وإقصائها وتغييبها،" تنصت خلال صوت وكلام الراوي العليم/المؤلف إلى مختلف الأصوات المسندة إلى ذوات لها في الغالب ـ حضور موضوعي وتاريخي وهوية تنتسب إليها..." (واسيني، 2004، صفحة 209)

توصل الباحث إلى استنتاج مفاده أن تعدد الأصوات والرواة كما تمظهر على مستوى النسيج النصي، يسهم في "تشييد وإنجاز خطابين، أحدهما يؤطر شخصية الأمير عبد القادر كبطل للمقاومة، والثاني يمكن اعتباره حوارا وجدلا بين الذات والآخر." (واسيني، 2004، صفحة 209) ثم ركز الباحث في تحليله لمقاطع السرد، تلك المقاطع " التي تسهم في رسم صور البطل النموذج". (واسيني، 2004، صفحة 210) ومنها خاصة على رسم الصورة " كما تبلور نموذجها في المخيال الديني الشعبي." بل " إننا نجد 'واسيني الأعرج' يحاول أن ينزل شخصية الأمير عبد القادر داخل منظور حداثي، يدفع بهذه الشية داخل إدارة الاختلاف... فإنه بدا مترددا كثير التساؤل، مؤمنا بمبدأ الاختلاف والديمقراطية وحقوق الإنسان والسلطة المدنية، وعدم الرغبة في الزعامة، وتجاوز النظام القبلي وتعويضه بنظام الدولة الحديثة." (واسيني، 2004، صفحة 211) وكشف الباحث 'الطاهر روابنية' في آخر هذه الجزئية عن عبقرية الأمير، وتمظهر ذلك في انتقاده للذات وإدانتها، والقبول " بمبدأ حوار الأديان، وهو يعلم أن الاستعمار الفرنسي للجزائر كان سياسيا واقتصاديا بقدر ما كان صليبيا." (واسيني، 2004، صفحة 211)

4 ــ 5 الشكل الخامس من التجريب الروائي: جدل الذات والأخر

هناك سؤال يفرض نفسه بإلحاح في تحليلنا لهذه الجزئية، ما الرؤية الفكرية التي ساست تصور ' واسيني الأعرج' لفكرة الصراع بين الأنا والآخر التي تمظهرت في رواية " كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد".؟

تقتضي رواية " كتاب الأمير " قارئا واعيا متمكنا، يدرك بوعي كبير الأبعاد الثقافية والاجتماعية والإنسانية التي توخاها كاتبها. إن هذا الطرح الذي طرحه ' واسيني الأعرج' لمفهومي ' الأنا/ الآخر، أو لمفهوم الاختلاف والحوار" يبين تفاعل الروائي مع ذاته ومجتمعه وعصره." (خالص، 2024، صفحة 391)

لم يتمثّل ' واسيني الأعرج' سؤال الأنا ولآخر كتيمة سلبية ثابتة تفرض حضورها على الخطاب الروائي "كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد". إنما وظف جدل الذات والآخر لإقامة حوار للوصول إلى الآخر، قصد مقاربة الواقع وتشخيصه بصورة جمالية من خلال استنطاق التاريخ والكشف عن المضمر، وملأ فجواته الفارغة. من هنا

كان لزاما على واسيني الأعرج' أن يستحضر شخصية الآخر من التاريخ لتؤسس لجدل الذات ولآخر، شخصية مكتملة لها فعلها في أحداث الرواية، وفي صنع النسيج الروائي فكانت شخصية ' مونسنيور ديبوش' رمزا للتكامل الإنساني والقيم الدائمة.

يمكن أن نقول إنه لا وجود لـ "لأنا " دون وجود "الآخر"، فكلاما مرتبط بالآخر الذي هو " عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات، من حيث أنها لا تكون كذلك إلا من خلال " الآخر"." (علام، 2005، صفحة 12) وفي هذا السياق نشير إلى مصطلح " **الغير**' يدل على " **الآخر**"، " وهو مقابل للفظ 'الأنا. فكل ما هو خارج عن الذات المدركة هو غيرها، وبالتالي الشيء الموجود خارج الأنا هو ' اللاأنا' أو ' الآخر'، فـ 'الأنا هو الذات المفكرة، والموضوع الخارجي هو 'الآخر". (لزرق و الهلالي، 2000، صفحة 9)

إن تعدد اللغات والأصوات في النسيج الروائي فسح المجال لظهور فضاء لممارسة الاختلاف وإقامة حوار للوصول إلى الآخر، وكان غرض الروائي من كل هذا التعدد اللغوي والصوتي' إدانة كل مظاهر العنف والتطرف الاستعماري والعرقي والعقدي." (واسيني، 2004، صفحة 213) ولا شك أن الحوار الذي تأسس مكن من تحقيق الجدل بين الذات (الأمير) والآخر المتعدد، الحوار بين الأمير وأصحابه، وبينه وبين القادة الفرنسيين، ومونسنيور ديبوش"

ومن ثمرة هذا الجدل والحوار بين الذات والأخر أن كان التسامح والانفتاح وتبني أطروحات إنسانية من أجل تحقيق المصالحة، ومن هنا أراد الروائي من خلال هذا الحوار تحيين الواقع الذي لم يعد قائما على حد تعبير الطاهر روانينية. وللكشف عن أهمية الحوار ركز الروائي 'واسيني الأعرج' على إبراز الشبكات الدلالية التي تصدر مظاهر التشاكل داخل النص بين الذاتية والغيرية.

5. ــ الخاتمة

تناولت هذه الدراسة فكرة أساسية تمحورت حول التجريب بوصفه مفهوما وممارسة عبر تقنيات واستراتيجيات توخاها الروائي ' واسيني الأعرج ' في روايته" **كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد**"، التي أبان فيها عن تجربة جديدة للرواية الجزائرية المعاصرة، فهي لا تقول التاريخ ولا تتقصى أحداثه، لكنها تستند عليه لا لتكرره، إنما لتدفعه إلى قول ما لم يقله التاريخ.

إن الغاية التي أراد 'واسيني الأعرج' في هذه الرواية هو إبراز قيمة التسامح والانفتاح على الآخر، من خلال تركيز الوصف على مظاهر الاختلاف والمفارقة بين الأمير عبد القادر ومونسينيور ديبوش، بواسطة استثمار تقنية التماثل.

ومن مظاهر التسامح والانفتاح على الآخر كما أراد الروائي أن يصورها، قراءة الأمير الإنجيل، قراءة تؤكد على تفتح الأمير على كل شيء، فما المانع من قراءة الإنجيل.؟ ألا تؤكد هذه القراءة على الانفتاح والتسامح والتعايش السلمي بين الأديان، فالأديان متعايشة من طبيعتها لأنها أديان سماوية.

إن هدف رواية " كتاب الأمير" الوقوف" على القيم الإنسانية التي يجسدها كل من الأمير ومونسينيور ديبوش، ولذلك فقد اعطى الروائي ' واسيني الأعرج' للتخييل سطلة مطلقة على التاريخ.

النتائج:

ـ إن تجربة الكتابة الروائية عند ' واسيني الأعرج' ممارسة إبداعية واعية وتفكيك للتاريخ وإعادة استنطاقه بما لم يجرؤ على قوله.

ــ إن مفهوم التجريب عند الروائي ' واسيني الأعرج' ليس خلطة سحرية، إنما إحياء لقيم أصيلة تؤسس لشكلها الفني الذي تسوسه رؤية المبدع للعالم.

ــ إن التجريب الروائي في كتابات ' واسيني الأعرج' رؤية شاملة تتجاوز البنية التقليدية، وممارسة ذكية تنطلق من العتبات والتصدير، التي تحمل أبعادا دلالية من منطق علاقتها بالمتن الروائي.

ــ رواية " كتاب الأمير..." استراتيجية جديدة ومنعرج واضح لفكرة الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، لتستشرف علاقة جديدة مع الآخر.

ــ أعاد الروائي ' واسيني الأعرج' قراءة التاريخ بإزالة الصور السلبية التي رسخت في الغرب عن الشرق، من خلال الكشف عن المضمر والمسكوت عنه، بزعزعة تلك الصور العدائية التي تشكلت في المتخيل الغربي.

ــ رواية " كتاب الأمير ...." إنجاز استراتيجي كبير استوحاه من المصادر التاريخية والعسكرية الكثيرة والمختلفة التي أرهقته كثيرا.

ــ وفق الروائي ' واسيني الأعرج' في الاستعانة بفكرة دائرية الزمن التي تقوم على الديمومة والاستمرار، مما جعل الرواية تنفتح على زمن الكتابة وعلى زمن القراءة.

ــ أولت الرواية أهمية لتعددية أصوات الرواة، وتأتي هذه الأهمية لتكشف عن قراءات 'واسيني الأعرج' الواسعة للتاريخ وللرواية العالمية. وتعد تجربة تعدد الأصوات مطلبا فنيا وإبداعيا لتلائم عصر الاختلاف والرأي الآخر.

6 ـ قائمة المراجع:

أ ـ اللغة العربية:

1. أمنصور، محمد. (1999). *خرائط التحريب الروائي*، ط1، فاس: مطبعة أنفوبرات.مكناس، المغرب.
2. باختين، ميخائيل، (1986). *شعرية دوستويفسكي* ،ط1، (تر: التريكي جميل نصيف، المترجمون)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب
3. باختين، ميخائيل، (1987). *الخطاب الروائي*،ط2، (تر: برادة محمد، المترجمون)، دار الأمان والتوزيع، الرباط، المغرب.
4. بالطيب،عائشة ، (2014). *الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج ، رسالة دكتوراه*. باتنة: جامعة باتنة 1.
5. التلاوي، محمد نجيب ، (2000). *وجهة النظر في روايات الأصوات العربية*، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
6. حطاب، طانية، (2016)، *جدلية التاريخي والمتخيل في راية كتاب الأمير لواسيني الأعرج* ، مجلة تاريخ العلوم، المجلد 2، ع، 4الجلفة، الجزائر: جامعة زيان عاشور. تاريخ الاسترداد 5 6، 2025، من https://asjp.cerist.dz/en/article/12022
7. حميدة، ميلود، (2013)، في الرواية الجزائرية الجديدة، تخييل الهوية والتاريخ واختراق الأنماط الأسلوبية. *الجلفة أنفو*. تاريخ الاسترداد 10 6، 2026، من https://www.djelfainfo.dz/ar/art_culture/4379.html??
8. الخراط، إدوارد، (1993). *الحساسية الجديدة، مقالات في الظاهرة القصصية* ط1، بيروت: دار الآداب.
9. خالص،زهرة (2024). صور الصراع بين الأنا والآخر في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج،مجلة الكلم، مخبر اللهجات ومعالجة الكلام،، جامعة أحمد بن بله وهران1 الكلام، المحرر) *مجلة الكلم، المجلد 9، العدد*(1)، ص ص389-401. تاريخ الاسترداد 12 5، 2026 دمشق، سوريا
10. الدراج، فيصل، (2004)، *الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية* ،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب

11. رواينية، الطاهر. (2014). جدلية التاريخي والمرجعي في كتاب الأمير لواسيني الأعرج. *2014*. تم الاسترداد من https://ouvrages.crasc.dz/index.php/fr60 le roman algérien de1990 à nos jours fais et témoignages dans les écritures fictionnelles /70(2014)

12. سعيد، حجازي، سمير (2001). *قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر*، ط1، دار الآفاق العربية. القاهرة

13. ساري، محمد، (2007). *محنة الكتابة ، دراسات نقدية* ،ب د، منشورات البرزخ– الجزائر، الجزائر.

14. شطاح، نجية،،(2017)، استراتيجية الحوار الحضاري قراءة في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج. *مجلة العلوم الإنسانية،المجلد ،28 ع* (4)، ص ص 345–354. تاريخ الاسترداد 12 5، 2026، من https://asjp.cerist.dz/en/article/89329

15. شومان ،محمد، أحمد. (2003). *قراءة في اتجاهات الرواية الحديثة*، الهيئة المصرية العامة للكتاب،. القاهرة:

16. شاهر، أحمد نصر ، (2025). الرواية التجريبية والخطاب القصصي النسوي،أدب نجلا علي أنموجا. *الحوار المتمد*(1167). تم الاسترداد من https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=35401

17. عباس،إبراهيم (2005). *الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي* ط). الجزائر: دار الرائد للكتاب.

18. عرب الشعبة، نجاة، (2022)، عتبة التصدير في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في التعالق النصي مع ألف ليلة وليلة، كلية الآداب واللغات، *مجلة النص، المجلد، ع*(1)، جامعة العربي بن مهيدي، ص ص533–545. تاريخ الاسترداد 18 05، 2026، https://asjp.cerist.dz/en/article/193608

19. العشري، فتحي، (1977). لقاء مع ناتالي ساروت. *مجلة دار الفيصل الثقافية، ع* (4)، صص15–26.

20. عطانعيسة، نعيسة، (2001)، *في مشكلات قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربيةالسردية – المعاصرة*، (ب .د)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق

21. علام، عمرو عبد العالي ، (2005). *الأنا والآخر – الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر*،ط1، القاهرة، دار العلوم، مصر

22. قسيمة مصطفى. (2008). الرواية الجزائرية أفق التجديد الروائي . *مجلة العلامة* ، المجلد، ع 6، صص 32-40.

23. القاضي، محمد، (2018). *الرواية والتاريخ دراسات في التخييل المرجعي* ،ط1،دار المعرفة للنشر، جامعة منوبة، منوبة، تونس:

24. لزرق و الهلالي، عزيز و محمد ،(2000). *الغير*، دار توبقال، . الدار البيضاء، المغرب

25. مخلوف،عامر، (2005). *توظيف التراث في الرواية الجزائرية* ،ط1، دار الأديب، وهران، الجزائر

26. منيف،عبد الرحمن، (2005). *رحلة الضوء* ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت –الدار البيضاء:

27. الويقن، مصطفى،(2001)*تشكل المكونات الروائية*، ط1 اللاذقية، دار الحوار للطباعة والنشر سوريا

28. مارت، روبيرت ، (1987). *رواية الأصول وأصول الرواية*. (تر: أسعد، وجيه، المترجمون)، اتحاد الكتاب العرب. دمشق

29. وادي، طه، (2002). *الرواية السياسية* ،ط1، الشركة المصرية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر

30. واسيني، الأعرج، (2004)، *كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد*، ط1، منشورات بغدادي، الجزائر العاصمة، الجزائر

31. يقطين، سعيد، (1992). *الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث*،ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، لبنان / المغرب

ب ـ اللغة الأجنبية:

1. Genette, G. (1982). *Palimpseste, La littérature au second degré.* Seuil , Paris France.
2. Ricoeur, P. (1985). *Temps et Récit* (éd. 3ed). Seuil Paris, France.